بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وبعد ...

هـذه رسـالـة:

أحكام الضحك والمزاح

واللهَ الكريمَ أسـألُ: أن يعلمنى ما جهلت، وينفعنى بما علمت، ويجعـل علمـى زاداً إلـى حُـسْـنِ المصير إليه، وعتاداً إلى يُمْنِ القدوم عليه، إنه مولاى بكل جميـل كفيـل، وهـو حسبى ونِعْمَ الوكيل، وعليه اتكالي، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلىِّ العظيم، القائـل -جـلَّ وعزّ-: "**وما لكم من دون الله مِن ولىٍّ ولا نصير**". وأنا سائل كل من انتفع بشئٍ مما كتبت أن يدعو لي ، ولأصحابي، وأحبابي، وإخواني، وجيراني، وأهلي، وعشيرتي، ومـشايخي، ولوالدىَّ، ولمن كان له فَضْلٌ علىَّ، ولسائر المسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأمـوات، آمين [1].

تمهيد:

إن الإسلام لم يحارب البِشْرِ وطلاقة الوجه، وإنما حـثَّ عليهما، والضحك والمرح هـو مما يجعل الحياةَ مقبولةً سائغة، فالحياة بما فيها من مصاعب ومشاق تتطلب الجـدَّ كمـا تتطلب التبـسُّـط والمضاحكة، فإن النفوس تمل كما تمل الأبدان، ولذا حث الإسلام المسلم

[1] تنبيه: الحديث إن كان مروياً فى الكتب التسعة وغيرها اكتفيت بالعزو إلى الكتب التسعة فقط، وإلا ذكرت مَن خَرَّجه – ما استطعت –، ولا أخالف ذلك إلا لفائدة.

أن يلبس لكل حالٍ لبوسها، فإن كان فى جِدٍّ فجِدٌّ، وإن كان فى مزحٍ فهو، ولكن بضوابطَ وشروطَ تحفظُ للمسلم هيبته رغم ضحكه وتبسطه.

والضحك صفة من صفات الله تعالى،

وإذا ما ضحك الله تعالى لعباده فى الدنيا فلا حساب عليهم فى الآخرة:

روى أحمد فى المسند ٢٨٧/٥ عن نعيم بن هَمَّار أن رجلاً سأل النبى صلى الله عليه وسلم أىُّ

الشهداء أفضل ؟ قال: الذين إن يَلْقَوا فى الصف يلفتون وجوههم حتى يُقْتَلوا، أولئك ينطلقون فى الغرف العُلَى من الجنة، ويضحك إليهم ربهم، وإذا ضحك ربك إلى عبد فى الدنيا فلا حساب عليه.

والله تعالى يضحك إلى عباده الصالحين في الدنيا إذا ما أحسنوا الفعال والأقوال:

روى البخارى فى صحيحه ح٣٧٩٨ عن أبى هريرة أن رجلاً أتى النبى صلى الله عليه وسلم فبعث إلى نسائه ليضيفوه فقلن: ما معنا إلا الماء، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: مَن يضيف هذا ؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله. فانطلق به إلى امرأته، فقال لها: أكرمى ضيف رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقالت: ما عندنا إلا قوت صبيانى. فقال: هيئى طعامك، وأصبحى سراجك، ونومى صبيانك إذا أرادوا عشاء، ففعلت، ثم قامت كأنها تصلح سراجها فأطفأته، فجعلا يريانه أنهما يأكلان، فباتا طاويين، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: ضحك الله الليلة من فعالكما، فأنزل الله تعالى: "ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون".

وهو يضحك من أفعال عباده: فيضحك من شدة قنوطهم من رحمته مع قرب حلولها بهم:

روى أحمد فى المسند4/11 و١٢ عن أبى رُزَيْن لقيط بن صبرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ضحك ربنا من قنوط عباده وقرب غِيَرِه. قلت: يا رسول الله ! أَوَ يضحك الرب ؟ قال: نعم. فقال أبو رزين: لن نَعدمَ من ربٍّ يضحكُ خيراً [2].

ويضحك الله تعالى إلى عباده: يقتل أحدهما الآخر فيدخل كلاهما الجنة:

روى البخارى فى صحيحه (٦/٤٧-فتح) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر، يدخلان الجنة، يقاتل هذا فى سبيل الله فيُقْتَلُ، ثم يتوب الله على القاتل فيُسْتَشْهَدُ.

---

[2] قال في لسان العرب: [قنط: القُنُوط: اليأْس، وفي التهذيب: اليأْس من الخير، وقيل: أَشدّ اليأْس من الشيء. والقُنُوط، بالضم، المصدر. وقَنَط يقنِطُ ويَقْنُطُ قُنُوطاً مثل جلَس يجلِس جُلوساً، وقَنِطَ قَنَطاً وهو قانِطٌ: يَئِسَ؛ وقال ابن جني: قَنَطَ يَقْنَطُ كأَبى يَأْبَى، والصحيح ما بدأْنا به، وفيه لغة ثالثة قَنِطَ يَقْنَطُ قَنَطاً، مثل تعِب يَتْعَب تعباً، وقَناطة، فهو قَنِطٌ؛ وقرئ: ولا تكن من القَنِطِين. وأَما قَنَط يقْنَطُ، بالفتح فيهما، وقَنِطَ يَقْنِط، بالكسر فيهما، فإِنما هو على الجمع بين اللغتين؛ قاله الأَخفش. وفي التنزيل: قال ومن يَقْنُطُ من رحمة ربه إلا الضالون، وقرئ: ومن يَقْنِطُ، قال الأَزهري: وهما لغتان: قَنَطَ يَقْنُطُ، وقَنَط يَقْنِطُ قُنوطاً في اللغتين، قال: قال ذلك أَبو عمرو بن العلاء. ويقال: شر الناس الذين يُقَنِّطُون الناس من رحمة اللّه أَي يُؤَيْسُونهم.] أهـ

والكلمة وردت في القرآن في مواضع عدة: قال تعالى: {فلا تكن من القانطين} الحجر/٥٥، وقال: {ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون} الحجر/٥٦، وقال: {يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله} الزمر/٥٣، وقال: {وإذا مسه الشر فيؤس قنوط} فصلت/٤٩، وقال: {إذا هم يقنطون} الروم/٣٦.

وسياق الحديث يدل أن الضحك هنا مثبت لله من باب الكناية: لا يقصد معنى الكلمة من انفراج شفة وخروج نفس، وإنما يقصد المعنى الملازم للكلمة من الرضا والقبول بما يتعجب منه عادة، وإن عدمت الشفة في حال جريح مثلا، أو في حال المنزه عن الجوارح سبحانه وتعالى. فكما قد يقول أحدهم "ضحكت لذلك الكلام"، وإن كان ذلك المتكلم جريحا لا شفة له، فكذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم أن ربنا ضحك من قنوط عباده، أي رضي وقبل بما يسبب عادة العجب. وفي هذا إثبات لنص الحديث ومعناه الظاهر من باب الكناية، من غير تشبيه ولا تأويل ولا تعطيل. ولأهمية هذا الموضوع، يذكر فيما يلي كلاما مهما وجامعا في الكناية. قال المحدث العالم الشيخ محمود الرنكوسي: [إن الله تعالى وصف ذاته العلية بصفتين مشتقتين من الرحمة وهما "الرحمن" و "الرحيم". فالرحمة لغة: رقة في القلب تقتضي التفضل والإحسان، وإذا أضيفت إلى الله تعالى هذه الصفة وسائر مشتقاتها كان معناها ما يترتب على رقة القلب في الإنسان من التفضيل والإحسان القائمين على مزيد من اللطف بالخلق والعطف عليهم والإحسان إليهم، فأما رقة القلب نفسها فإنها أمر يستحيل على الباري – جل وعز – فالتعبير إذن تعبير كنائي يطلق اللفظ فيه ويراد لازم معناه دون حقيقة معناه، كما هو شأن الكناية دائما في لغة العرب] أهـ

وهو تعالى يضحك لبعض عباده يوم القيامة في الجنة

خ م ت جه حم – عَنْ أَنَسٍ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً وَيَكْبُو مَرَّةً وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ لَقَدْ أَعْطَانِي اللَّهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنْ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَا ابْنَ آدَمَ لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ لَا يَا رَبِّ وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ الْأُولَى فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا فَيَقُولُ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنْ الْأُولَيَيْنِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا قَالَ بَلَى يَا رَبِّ هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَقُولُ أَيْ رَبِّ أَدْخِلْنِيهَا فَيَقُولُ يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا قَالَ يَا رَبِّ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ فَقَالَ أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ فَقَالُوا مِمَّ تَضْحَكُ قَالَ هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ مِنْ ضِحْكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ فَيَقُولُ إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ,

خ م ت حم – عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنْ النَّارِ كَبْوًا فَيَقُولُ اللَّهُ اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى فَيَقُولُ اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى فَيَقُولُ اذْهَبْ

فَادْخُلْ الْجَنَّةَ فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ تَسْخَرُ مِنِّي أَوْ تَضْحَكُ مِنِّي وَأَنْتَ الْمَلِكُ فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ وَكَانَ يَقُولُ ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً,

ويضحك الله تعالى إلى عباده الصالحين حين يلقاهم:

روى أحمد فى المسند ٣/٨٠ وابن ماجة ح٢٠٠ عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ثلاثة يضحك الله إليهم يوم القيامة: الرجل إذا قام من الليل يصلى، والقوم إذا صفوا للصلاة، والقوم إذا صفوا للقتال.

وأول مَن ضحك الله تعالى إليه حين لقاه: سعد بن معاذ سيد الأنصار:

روى أحمد فى المسند ٤٥٦/٦ عن اسماء بنت يزيد بن سكن قالت: لما توفى سعد بن معاذ صاحت أمه، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ألا يرقأ دمعُك ويذهبُ حزنُك ؟ فإن ابنك أول من ضحك الله له واهتز له العرش.

والله تعالى يضحك في وجه عبده إذا جاء إلى المسجد للصلاة،

حم جه – عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يُوَطِّنُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ الْمَسَاجِدَ لِلصَّلَاةِ وَالذِّكْرِ إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ بِهِ حَتَّى يَخْرُجَ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِغَائِبِهِمْ إِذَا قَدِمَ عَلَيْهِمْ

وفي روايةٍ: لَا يَتَوَضَّأُ أَحَدُكُمْ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ وَيُسْبِغُهُ ثُمَّ يَأْتِي الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ فِيهِ إِلَّا تَبَشْبَشَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ كَمَا يَتَبَشْبَشُ أَهْلُ الْغَائِبِ بِطَلْعَتِهِ,

ومن السنة أنك إذا ركبت دابتك أو سيارتك أن تقول ذكراً ثم تضحك، أتعلم لم ؟ لأن الله تعالى يضحك لفعلك، فيوافق ضحكك ضحكه:

روى أحمد فى المسند ٣٣٠/١ عن عبدالله بن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أردفه على دابته، فلما استوى عليها كبَّر ثلاثاً وحمد الله ثلاثاً وسبح الله ثلاثا، وهلَّلَ واحدة، ثم استلقى عليه فضحك، ثم أقبل عليَّ فقال: ما من امرئٍ يركب دابته فيصنع كما صنعت إلا أقبل الله تبارك وتعالى فضحك إليه كما ضحكت إليك.

وهذا الذكر يُقال مع ما ورد نصاً فى القرآن العظيم:

قال الله تعالى: " والذى خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفُلْكِ والأنعام ما تركبون. لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذى سخَّر لنا هذا وما كنا له مقرنين. وإنا إلى ربنا لمنقلبون ". الزخرف/١٣و١٤.

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يضحك.

كان صلى الله عليه وسلم يضحك فى وجه أصحابه ولا يعبس:

خ م حم – عن سَعْدٍ بن أبى وقاص قَالَ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعِنْدَهُ نِسْوَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ يَسْأَلْنَهُ وَيَسْتَكْثِرْنَهُ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُنَّ عَلَى صَوْتِهِ فَلَمَّا اسْتَأْذَنَ عُمَرُ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَضْحَكُ فَقَالَ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَقَالَ عَجِبْتُ مِنْ هَؤُلَاءِ اللَّاتِي كُنَّ عِنْدِي لَمَّا سَمِعْنَ صَوْتَكَ تَبَادَرْنَ الْحِجَابَ فَقَالَ أَنْتَ أَحَقُّ أَنْ يَهَبْنَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِنَّ فَقَالَ يَا عَدُوَّاتِ أَنْفُسِهِنَّ أَتَهَبْنَنِي وَلَمْ تَهَبْنَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْنَ إِنَّكَ أَفَظُّ وَأَغْلَظُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِيهٍ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ ,

وروى البخارى فى صحيحه (١٦٤/٧–فتح) ومسلم والترمذى عن جرير بن عبدالله البجلى

قال: ما حجبنى رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت، ولا رآنى إلا ضحك.

وجرير بن عبدالله البجلى كان فارساً مِقداماً مِطْواعاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لــذا كان يضحك إليه إذا لقيه:

روى البخارى فى صحيحه (١٦٤/٧–فتح) عن جرير بن عبدالله البجلى قــال: كــان فــى الجاهلية بيت يُقالُ له: ذو الخَلَصَة، وكان يقال له الكعبة اليمنية أو الكعبة الشامية، فقال لــى رسول الله صلى الله عليه وسلم: هل أنت مُرَيِّحى من ذى الخَلَصَة ؟ قال جرير: فنفرتُ فى خمسين ومائة فارسٍ من أحْمَس، فكسرناه وقتلنا مَن وجدنا عنده، فأتيناه فأخبرناه، فدعا لنــا ولأحمَسَ.

وكان يضحك إذا رأى رؤيا تعجبه

خ م ت حم – عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قال: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْــهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَــلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِــنْ أُمَّتِي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الْأَسِرَّةِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهمْ فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُــمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ نَاسٌ مِــنْ أُمَّتِــي عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَا قَالَ فِي الْأَوَّلِ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّــهِ ادْعُ اللَّــهَ أَنْ يَجْعَلَنِي مِنْهُمْ قَالَ أَنْتِ مِنْ الْأَوَّلِينَ فَرَكِبَتْ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ فَــصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنْ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ,

وكان يضحك إذا وافقه أهل الكتاب على معلومةٍ وهم لا يدرون موافقته لهم

خ م – عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَكُونُ الْأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُبْزَةً وَاحِدَةً يَتَكَفَّؤُهَا الْجَبَّارُ بِيَدِهِ كَمَا يَكْفَأُ أَحَدُكُمْ خُبْزَتَهُ فِي السَّفَرِ نُزُلًا لِأَهْلِ الْجَنَّةِ فَأَتَى رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودِ فَقَالَ بَارَكَ الرَّحْمَنُ عَلَيْكَ يَا أَبَا الْقَاسِمِ أَلَا أُخْبِرُكَ بِنُزُلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَالَ بَلَى قَالَ تَكُونُ الْأَرْضُ خُبْزَةً وَاحِدَةً كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَظَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْنَا ثُمَّ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ ثُمَّ قَالَ أَلَا أُخْبِرُكَ بِإِدَامِهِمْ قَالَ إِدَامُهُمْ بَالَامٌ وَنُونٌ قَالُوا وَمَا هَذَا قَالَ ثَوْرٌ وَنُونٌ يَأْكُلُ مِنْ زَائِدَةِ كَبِدِهِمَا سَبْعُونَ أَلْفًا,

وكان النبى صلى الله عليه وسلم لا يضحك إلا تبسماً:

روى أحمد فى المسند ٥/٩٧و١٠٥ والترمذى ح٣٦٤٥ عن جابر بن سَمُرَة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم طويل الصمت، قليل الضحك، وكان لا يضحك إلا تبسُّماً.

و روى البخارى فى صحيحه ح٦٠٩٢ ومسلم فى صحيحه: كتاب الاستسقاء ح١٦ وأبو داود

ح٥٠٩٨ وأحمد فى المسند 6/66 عن أمنا عائشة قالت: ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً قط حتى أرى منه لهواته، إنما كان يتبسم .

ومن بشاشة النبى صلى الله عليه وسلم كان يُكْثِرُ التبسم فى وجه أصحابه:

و روى أحمد فى المسند ٤/١٩٠و١٩١ عن عبدالله بن الحارث الزبيدى قال: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان ضابط الضحك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن تظهر نواجذه، أى الأسنان الأمامية والنابان فقط دون أن تظهر الأضراس، وهذا هو أكثر إتساع للفم حال الضحك عند

رسول الله صلى الله عليه وسلم:

روى أحمد فى المسند ١٥٧/٥و١٧٠ عن أبى ذر الغِفارى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: يُؤتى بالرجل يوم القيامة فيُقال: إعرضوا عليه صغار ذنوبه، فتُعْرَضُ عليه ويُخَبَّأُ عنه كبارها، فيُقال: عملت يوم كذا وكذا: كذا وكذا، وهو مقرٌ لا يُنْكِر، وهو مشفق من الكبار، فيُقالُ: أعطوه مكان كل سيئةٍ حسنةً، فيقول: إن لى ذنوباً ما أراها. قال أبو ذر: فرأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه.

وأولى الناس بمضاحكة الرجل لهم: زوجه وآل بيته، وهكذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أهله، مما كان له ذكرى طيبة تبقى فى ذاكرتهن:

روى أبو داود ح٤٩٣٢ عن عائشة قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفى السهوة ستر، فهبَّت ريح فكشفت ناحية الستر من بنات لُعَبٍ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ما هذا يا عائشة ؟ قالت: بناتى. و رأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع، فقال: ما هذا الذى أرى وسطهن ؟ قلت: فرس. قال: وما هذا الذى عليه ؟ قلت: جناحان. فقال: فرس له جناحان !!! فقلت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأيتُ نواجذه.

وكانت آخر مرةٍ ضحك النبى صلى الله عليه وسلم فيها لأصحابه قبل وفاته بلحظات

خ م – عن أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ كَانَ يُصَلِّي لَهُمْ فِي وَجَعِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمُ الِاثْنَيْنِ وَهُمْ صُفُوفٌ فِي الصَّلَاةِ كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سِتْرَ الْحُجْرَةِ فَنَظَرَ إِلَيْنَا وَهُوَ قَائِمٌ كَأَنَّ وَجْهَهُ وَرَقَةُ مُصْحَفٍ ثُمَّ تَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَاحِكًا قَالَ فَبُهِتْنَا وَنَحْنُ فِي الصَّلَاةِ مِنْ فَرَحٍ بِخُرُوجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَارِجٌ لِلصَّلَاةِ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ أَنْ

أَتِمُّوا صَلَاتَكُمْ قَالَ ثُمَّ دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَرْخَى السِّتْرَ قَالَ فَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ ,

أخى الكريم:

لئن كان ينبغى أن يكون الضحك من أخلاق المؤمن، فإنه ينبغى أيضاً عليه أن يكون حريصاً على طاعاته أن يضيع ثوابها لضحك هو غنى عنه:

روى مسلم عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: أتدرون مَن المفلس ؟ قالوا: المفلس فينا مَن لا درهم له ولا متاع. فقال: المفلس من أمتى مَن يأتى يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتى وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقْضى ما عليه أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحَت عليه ثم طُرِحَ فى النار.

فمن ضوابط الضحك: أن لا يكون ضحكه سخرية، والسخرية من المسلمين حرام:

قال الله تعالى: " يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيراً منهم، ولا نساء من نساءٍ عسى أن يكن خيراً منهن، ولا تلمزوا أنفسكم، ولا تنابزوا بالألقاب، بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان " الحجرات/١١.

وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن أنواعٍ من الاستهزاء والسخرية، قد لا يبالى بها أحدنا وهى تصدر عنه:

روى البخارى فى صحيحه ٤٧٨/١٠ واحمد فى المسند عن عبدالله بن زمعة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: "إذا انبعث أشقاها" قال: انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهط مثل ابن زمعة، ثم وعظهم فى الضحك من الضرطة، فقال: إلى ما يضحك أحدكم مما يفعل ؟ ثم قال: إلى ما يجلد أحدكم امرأته جلد العبد ثم لعله أن يضاجعها من آخر يومه.

روى أحمد فى المسند ١/٤٢٠و٤٢١ عن ابن مسعود أنه كان يجتنى سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفَؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون ؟ قالوا: من دقة ساقيه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: والـذى نفـسى بيده، لهما أثقل فى الميزان من أحد.

ولينتبه المؤمن لكلامه الذى يضحك له ويضحك منه:

روى أحمد فى المسند ٣/٣٨ عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يريد بها بأساً إلا ليضحك بها القوم، فإنه ليقع بها أبعد من السماء.
و روى أحمد فى المسند ٢/٤٠٢ عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسـلم قـال: إن الرجل ليتكلم بالكلمة يُضحك بها جلساءه يهوى بها من أبعد من الثريا.
قلت: والثريا هى أعلى الكواكب المرئية فى السماء، ويُضْرَبُ بها المثل لبعدها عن الأرض.
والمعنى على قولين: الأول: أن الذى يتكلم بما لا يحل ليُضحك الناس يدخل النار ويقع فيها مسافةً أبعد من المسافة ما بين الأرض والثريا أو أبعد ما بين طول السماء وعرضها،
والثانى: أنه يلبث فى النار بمقدار الوقت الذى يستغرقه قطع المسافة من الأرض إلى الثريا أو ما بين طول السماء وعرضها، والقول الأول أصح.

والذى يكذب ليضحك الناس متوعد بوعيد شديد:

روى أبو داود والنسائى والترمذى والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: ويل للذى يحدث بالحديث ليُضْحِكَ به القوم، فيكذب، ويل له، ويل له.

وليس فى المزح ترويع المسلم، فهذا حرام:

روى أحمد فى المسند ٥/٣٦٢ وأبو داود ح٥٠٠٤ عن عبدالرحمن بن أبى ليلى قال: حدثنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم كانوا يسيرون معه فى غزاةٍ، فنام رجل منهم

فانطلق بعضهم إلى نبل معه فأخذها، فلما استيقظ الرجل فزع فضحك القوم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما يضحككم ؟ فقالوا: لا، إلا أنا أخذنا نبل هذا ففزع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يحل لمسلم أن يُـــرَوِّعَ مسلما.

ولا ينبغى أن يكون كل كلام الرجل ضحكا:

روى أحمد فى المسند ٣١٠/٢ وابن ماجة ح٤١٩٣ و٤٢١٧ والترمذى عن ابى هريـــرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من يأخذ من أمتى خمس خصال فيعمل بهن أو يعلمهن من يعمل بهن ؟ قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدى فعدهن فيها، ثم قال: اتق المحارم تكن أعبـــد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسن إلى جارك تكن مؤمنـــا، وأحـــب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما، ولا تكثر الضحك، فإن كثرة الضحك تميت القلب.

ولا ينبغى للمؤمن أن لا يأخذ من دنياه إلا الضحك فقط،

في مصنف ابن أبي شيبة ج: ٧ ص: ١٨٧، عن الحسن قال كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يقول الرجل لصاحبه: هل أتاك أنك وارد – أي النـــار – ؟ فيقـــول نعم، فيقول: هل أتاك أنك خارج منها ؟ فيقول لا، فيقول : ففيم الضحك إذن ؟

وإنما هو إن ضحك مرة فينبغى عليه أن تكون له بين يدى الله دمعة، يتذكر بها عذاب الله تعالى، فلا خير فىعبد يضحك فى دنياه ولا يبكى من خشية مولاه:

روى أحمد فى المسند ١٧٣/٥ والترمذى ١٩٤/٩ وابن ماجة ح٤١٩٠ عن أبى ذر الغفارى أن النبى صلى الله عليه وسلم خطبهم فقال: إنى أرى ما لا ترون وأسمع مـــا لا تـــسمعون، أطَّتْ السماءُ وحُقَّ لها أن تئط، ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ســـاجداً لله، والله لو نعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا، وما تلذذتم بالنساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعُدات تجأرون إلى الله.

قلت: الأطيط هو صوت الفرش الموضوع على ظهر الدابة إذ ينضغط عندما يجلس عليه الراكب، وهذا الصوت يصدر عن السماء نظراً لثقل الحِمْلِ الذى حُمِّلَ فيها من كثرة الملائكة الساجدين لله تعالى.

والذى يُكْثِرُ من استحضار خشية الله تعالى قطعاً لن يُكْثِرُ الضحك:

روى أحمد فى المسند ٢٢٤/٢ –وهو فى المجمع ٣٨٥/١٠– عن أنس بن مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام: ما لى لم أر ميكائيل ضاحكاً قط ؟ فقال جبريل عليه والسلام: ما ضحك ميكائيل منذ خُلِقَتْ النارُ.

هذا ولا ينبغى للمؤمن أن يكون فعله مدعاةً لسخرية الشيطان وضحكه –لعنة الله عليه–:

روى البخارى (٣٨٩/٦–فتح) عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: التثاؤب من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع، فإن أحدكم إذا قال "ها" ضحك الشيطان.

وهذا آخر ما يَسَّرَ اللهُ جمعه ,

ونستغفرُ اللهَ تعالى مِنْ كُلِّ ما زَلَّتْ به القَدَمُ، أو طَغَى بِهِ القَلَمُ، ونستغفرهُ مِنْ أقوالِنا التى لا تُوَافِقُها أعمالُنا، ونستغفره مِنْ كُلِّ عِلْمٍ وعَمَلٍ قَصَدْنَا به وَجْهَهُ الكريمَ ثُمَّ خَالَطَهُ غَيْرُهُ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ وَعْدٍ وَعَدْنَا بِهِ مِنْ أَنْفُسِنَا ثُمَّ قَصَّرْنَا فى الوَفَاءِ بِهِ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِها عَلَيْنَا فاستَعْمَلْناها فى مَعْصِيَتِه، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ تَصْرِيْحٍ وتَعْرِيْضٍ – بِنُقْصَانِ نَاقِصٍ، وتَقْصِيْرِ مُقَصِّرٍ –كُنَّا مُتَّصِفِيْنَ بِهِ، ونستغفرهُ مِنْ كُلِّ خَطْرَةٍ دِعِتْنا إلى تَصَنُّعٍ وتَكَلُّفٍ تَزَيُّنًا للناسِ بِهِ.

والحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات وتدوم الطيبات